تعريف بمكتبة المعهد

من منشورات قسم اللغة والأدب

بقلم
عصام محمد الشنطي
دبلوم قسم اللغة والأدب

أنا والنثر

تأليف : شفيق جبرى

(١٩٦٠ م ، ١٨٢ صفحة من القطع المتوسط)

لمّا انتهى هذا الأديب والباحث السورى ، من وضع كتابه (أنا والشعر) ، وحكى فيه قصة تجاربه مع الشعر ، أخذ فى وضع كتابه الثانى (أنا والنثر) ليجلوَ فيه خلاصة تجاربه الأدبية خلال ستة وأربعين عاماً ، ونشأة حياته الأدبية فيها ، وتدرجها من دور الاستعداد إلى دور التجربة والعمل فى آفاق فنون أدبية مختلفة، لتتضح خصائص حياته الأدبية وأسلوبه فى النثر .

ونعلم من خلال أحاديثه أن كتابته فى صباه وحداثته كانت ضعيفة . ولم يُصقل ذوقه الأدبى ، وتقوم تراكيبه ، ويتخلق أسلوبه وبيانه ، إلا حين أخذ يتّطلع بجهده الخاص على نصوص أدبية أصيلة فى طائفة من الكتب القديمة . وكان يقرأ هذه النصوص قراءة فاحص مدقق لألفاظها وعباراتها وجملها وتراكيبها وأفكارها. وكان يعنى بحروف التعدية مع أفعالها ، حتى ألفها جميعاً ، وتقيد بها فى كتاباته . كما ألف منذ البداية الإنشاء المرسل .

وينتقل إلى أول تجربته فى نشر المقالات على صفحات الجرائد . ويعرض لطائفة من المشكلات التى تصادف الكاتب الناشىء . ويكشف عن بعض ثراء اللغة العربية فى ألفاظ العلم والفلسفة والاجتماع . ثم يمضى فى بيان تطور مراحل قدرته على الكتابة فى المقالة الأدبية وغيرها .

ويفصل فى تأثره بأدب بعض الكتّاب الغربيين ، كالكاتب الفرنسى أناتول فرانس ، وكيف أدخل هذا الأدب الرقة على أسلوبه ، محافظاً على روح اللغة العربية وعبقريتها وأدبها وبلاغتها . ويبين اهتمامه بأفكار هذا الكاتب وآرائه ، وبما ترجم له من نصوص إلى العربية ، موضحاً أسلوبه فى الترجمة . وينتهى إلى ضرورة معرفة الأديب لغة أو لغتين من لغات العالم ، حتى لا تصاب أفكاره بالجمود .

وينتقل إلى ما وضّح من أدب الرحلات إلى أوروبا وأمريكا وبعض أقطار العروبة ، مشيراً إلى جهود من سبقه فى هذا الميدان كرفاعة والشدياق ومحمد كرد على ، وأثرها فى النهضة الأدبية الحديثة .

ويسهب فى تجربته الأولى فى إلقاء المحاضرات على طلاب الجامعة ، وفى نمو هذه التجربة عنده ، وفى تآليفه التى وضعها ، وفى تفسيره النصوص الأدبية ، مفصلا فى خطته فى التأليف والتحليل ، وفى طريقته المتأنية المتأملة فيما يطالع ، وفيما كتب من نقد وتعريف بالكتب فى المجلات .

ويكشف عن بعض ما أعانه على ممارسة الكتابة ، وولعه باللغة العربية ، لحصبها وبعدها عن الجمود. وافتتن بحياة الألفاظ وتطورها . واهتم ببقايا الفصاح من المفردات العامية التى هجرها الكتّاب ، مع صلتها القوية بأصلها الفصيح . وجمع من هذه الألفاظ مقداراً ، داعياً إلى إحياء أمثالها من الألفاظ والتراكيب ، مستنكراً الدعوة إلى العامية ، لأنها تطيح بسلطان القومية العربية .

ويمرّ مرّاً رفيقاً بمنزلة الأدب عند الأمم ، وضرورة تمتع الأديب بالحرية دون حدود . ويختم مؤلفه بفصل يبين فيه مذهبه فى الكتابة ، محاولا أن يضع من خلال دراسته شروطاً لها ، من مثل التفقه فى اللغة ، والأناة فى الدرس ، وضرورة توخى السهولة والبساطة والدقة والوضوح فى العبارة والأسلوب .

وكان يكثر فى ثنايا الكتاب من النماذج المتعددة التى كان يطعّم بها أقواله وتجاربه جميعاً ، ويأتى بأنماط من كتاباته فى مختلف مراحلها ، ويضرب الأمثال من النصوص ليزيد مراميه وأهدافه وضوحاً .

نشأة النثر الحديث وتطوره

تأليف : عمر الدسوقى

(الجزء الأول ، ١٩٦١ — ١٩٦٢ م ، ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط)

لا يغطى هذا البحث من موضوعات النثر المختلفة إلا المقالة والرسالة والكتاب ، فى مصر والشام والعراق دون سواها ، متتبعاً نشأة هذه الألوان منذ القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين ، مرجئاً الحديث عما يلى ذلك إلى جزء ثان .

ويمهد المؤلف لبحثه بحديث واف ، يجمل فيه العوامل التى أثرت فى النثر الحديث ، والنهضة فى بلاد الشام ، لأن لأدبائها نصيباً واضحاً فى تطور هذا الفن.

ثم يفصّل فى مبلغ ما وصلت إليه الكتابة واللغة من ضعف فى أخريات العصر العثمانى ، حين كان النثر فى مصر والشام والعراق هزيل المعنى والأسلوب ، مثقلا بالعبارة المسجوعة والألفاظ العامية والتركية . إلى أن جاء رفاعة الطهطاوى ، أول الروّاد الذين عبّدوا طريق النثر وأسهموا فى تطوره .

وينتقل المؤلف إلى حال النثر فى العراق وبلاد الشام فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . فيرى انه كان ملتوى العبارة ، مسجوعاً فى تكلف . ومن أشهر كتّاب العراق آنذاك محمود الألوسى الذى اشتهر بكتابته المتكلفة ذات المعنى الضحل . ومن كتاب الشام ناصيف اليازجى الذى اشتهر بكتابته المسجوعة . وينتهى المؤلف إلى أن نهضة النثر فى مصر سبقت سواها من العراق والشام .

ويكشف عن أثر الصحافة فى تطور أسلوب النثر ، فيبين أثر (الوقائع المصرية) و (روضة المدارس) فيه ، كما يشير إلى صدور (الجوائب) للشدياق ، التى كان لها أكبر الأثر فى انطلاق النثر وتحرره ، لإصطناعها الأسلوب المرسل فى المقالة وغيرها .

ثم يأتى طور وفود جمال الدين الأفغانى إلى مصر ، وأثر مدرسته الجديدة فى أدب المقالة ، وفى تطور الأسلوب النثرى قوة أداء وغزارة معنى . وعلى رأس هؤلاء التلاميذ محمد عبده الذى أخذ يهتم بالمعانى ، يبسطها فى الصحف بوضوح ، من بعد أن كان كاتباً سجّاعًا ؛ وكذلك أديب اسحق ،الذى دعا إلى النثر المرسل، ووضع أصول المقالة الحديثة ؛ وابراهيم اللقانى ، الذى اتضحت على أيديه سمات المقالة الصحفية .

وقبل أن يفرغ المؤلف من أدب المقالة توجه إلى أدباء الشام ، فعرض لإبراهيم اليازجى وكتاباته المسجوعة فى مجلته (البيان) ، ونجيب حداد الذى عنى بمعالجة مشكلات المجتمع بأسلوب مسجوع فى الغالب . كما توجه إلى العراق حيث ظلت الكتابة الفنية والنثر الصحفى متعثراً يقلد المقامات فى دور انحطاطها .

ويكشف المؤلف عن لون آخر من ألوان النثر ، وهو الرسالة . فعد من شيوخها فى مصر عبد الله فكرى ، الذى قلد مدرسة ابن العميد . ومن ثمّ يأتى إلى كثير من ذوى الشهرة فى كتابة الرسائل ، من أمثال محمد عبده ، وحمزة فتح الله ، وحفنى ناصف الذى آثر السجع ودافع عنه أمام من اشتدوا عليه حين تطورت المقالة الصحفية بمختلف أنواعها. ويذكر من أدباء الشام الذين عنوا بكتابة الرسائل فى أخريات القرن التاسع عشر إبراهيم اليازجى وأديب اسحق .

ويمضى المؤلف إلى اللون الثالث من ألوان النثر ، وهو الكتاب الأدبى ، وأشهرها عنده أربعة ، هى أسواق الذهب للشاعر شوقى ، وصهاريج اللؤلؤ للبكرى، وحديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحى ، وليالى سطيح لحافظ إبراهيم . ويأخذ منها نموذجين يدرسهما ويحللهما ، ويكشف عن مدى تطور هـــذا اللون من الكتابة أسلوباً وفكرة .

ولا يبخل المؤلف فى بيانه لكل هذه المجالات ، وفى تدعيمه لأحكامه واستنتاجاته ، أن يورد كثيراً من النماذج والنصوص ، يبثها موضوعات دراسته جميعاً .

محمد كرد علي

تأليف : شفيق جبري

(١٩٥٧ م ، ١١٢ صفحة من القطع المتوسط)

يمهد المؤلف للحديث عن محمد كرد علي بذكر عصره الذي فتح عليه عينيه ، من استبداد وفساد في مختلف الأوضاع ، إبان حكم الولاة العثمانيين لدمشق . الأمر الذي أثر فيه منذ نشأته ، فأخذ يطالب بالإصلاح على صفحات الجرائد التي حررها في الشام ومصر . وقد ذاق من أثر هذا الجهاد الاضطهاد من الولاة . ومما يذكر أن شكيب أرسلان نظم قصيدة مطولة في حادث من حوادث اختفاء كرد علي في بعض قرى دمشق حتى لا يلحق به أذى . وكذلك كان يدافع عن حضارة العرب والإسلام ، ويبث الروح القومية ، وينوّه بسيرة الأعاظم من رجال العرب وأدبهم ، في المجلات الشهيرة كالمقتطف ، وفي كتبه ومحاضراته .

ولم يلبث أن طارت شهرته وعُرف بملكته في النقد . وكان يسنده اطلاع واسع وثقافة عميقة تكونت عناصرها من اتقان العلوم العربية والإسلامية ، ثم اللغتين التركية والفرنسية وأدبهما ، كما حذق اللغة الفارسية وتتلذ على مشايخ مشهورين ، فقرأ كثيراً من كتب القدامى في اللغة والأدب والتاريخ من مطبوع ومخطوط . كما كان دائم الاطلاع على ما يكتبه المحدثون من شعراء وكتاب في الفكر والاجتماع ، مشارقة ومغاربة ومهجريين . وأعار اهتماماً بالغاً بالمستشرقين وكتاباتهم ، حتى عدّه المؤلف حجة عصره في تاريخ الاستشراق . وفتن بالقراءة فتنة شديدة لايعدلها إلا فتنة الجاحظ بها ، وأفضت به هذه الفتنة إلى كثرة التأليف، ووفرة الإنتاج . ويضيف المؤلف عنصراً أخيراً من عناصر ثقافته وهو عنصر الأسفار والرحلات ، فقد زار أوروبا عدة مرات ، دارساً لمدنيتها ، مستفيداً من لقاء علمائها ، وكان يكتب في كل ما كان يطلع عليه من مظاهر الحضارة الغربية كاشفاً أسرارها.

ويمضى المؤلف فى تفصيل جهود كرد على التى بذلها فى كتبه مدافعاً عن الإسلام والعرب . وكان يقف فيها بالمرصاد لكل من ينحرف عن فهم هذا الدين وتاريخ هذه الأمة . ويذكر المؤلف من هؤلاء الذين تصدى لهم كرد على بحججه القوية الأب لامنس ، والأب لويس شيخو ، اللذين سلبا الإسلام والعرب ميزاتهما تعصبا عليهما . كما تصدى لأمين الريحانى الذى اقتصر فى بعض كتبه على ذكر المساوىء من تاريخ العرب ، ولم يذكر بالخير الأمويين وصلاح الدين الأيوبى . ومن ثم يلتفت كرد على إلى مؤلفات الكتّاب الذين أنصفوا العرب والإسلام ، فكان يعرضها ويحللها ويمتدح مؤلفيها لنظراتهم الواعية المنصفة . ويفصل المؤلف فى علاقة كرد على بأدباء مصر ، مسجلا عليه بعض المتناقضات التى وقع فيها .

ويفيض المؤلف إفاضة مطولة فى تآليفه المختلفة الموضوعات، وبخاصة الشهيرة منها ، كخطط الشام ، وأمراء البيان ، وكنوز الأجداد ، وأقوالنا وأفعالنا ، وغرائب الغرب ، ومذكراته . يحللها ويعرض لمنهجه فى التأليف ، ويستنبط خصائصها وخصائص مزاج مؤلفها وأخلاقه ، ويقارنها بكتب أخرى ، وينقدها .

ويختم المؤلف كتابه بفصل يعقده لدراسة خصائص فن كرد على ، ونمط إنشائه، وألفاظه وهيئة جمله وتراكيبه. ويرى أن أبرز نواحى عبقريته هو بيانه فى الكتابة ، الذى تفوح منه روح الجاحظ وبلاغته ، وطبع ابن المقفع ، وسهولة الغزالى ، وابن خلدون ، وبعض كتابات أدباء الغرب . وينتهى المؤلف إلى ذكر ما أخذه على كرد على من أخطاء لغوية وقع فيها .

ولىّ الدين يكن

تأليف : الدكتور محمد مندور

(١٩٥٥ — ١٩٥٦ م ، ٦٠ صفحة من القطع المتوسط)

يعنى مندور فى هذا المؤلف بهذا الكاتب الشاعر، الذى ولد فى الآستانة عام ١٨٧٣ ، من أسرة تركية تمت بصلة قرابة إلى محمد على الكبير حاكم مصر فيما مضى . وجاء إلى مصر صغيراً ، حيث قضى أكثر حياته . وتلقى تعليمه فى مدرسة الأمراء بصحبة الخديوى عباس الثانى . وأولع بالأدب العربى ، وأتقن العربية إتقانه للتركية ، مع معرفة واسعة بالفرنسية وإلمام بالانكليزية . وكتب فى الصحف أدباً وسياسة . وأصدر جريدة (الاستقامة) التى منعت حكومة الآستانة دخولها إلى ممالكها فأوقف صدورها . ونفاه السلطان عبد الحميد إلى مدينة « سيواس » سبع سنوات ، ثم عاد إلى مصر ، وبقى فيها إلى أن توفى عام ١٩٢١ .

ويكشف المؤلف — فى تفصيل — عن الظروف العامة التى عاش يكن فى كنفها ، وعن نزعته السياسية ، حين نذر حياته لمحاربة ظلم سلاطنة الأتراك وفسادهم ، مع إعتزاز كبير بتركيته ، ونذر قلمه للعرب شعراً ونثراً مع تعصب كبير لهم ، ودعا إلى تآلفهم والأتراك معاً . والجدير بالذكر أنه ناقض قصيدة شوقى التى أسف فيها لعزل عبد الحميد عن الخلافة ، بقصيدة — على نفس الوزن والقافية — طرب فيها لهذا العزل ، وعدد ظلم هذا الخليفة وفجوره .

ويجلو المؤلف صورة يكن النفسية ومفتاح شخصيته فى تمرده وشجاعته وانفعاله وحساسيته ورقته ، مستعيناً بما كتبته عنّ زيادة وصديقه أنطون الجميل عنه فى هذا المجال . كما يكشف عن خصائص أدب يكن ، ويضعه فى جانب الأدب الملتزم ذى الرأى الواضح المتميز فى إعلانه الحرب على الظلم والفساد ، وفى دفاعه عن الحرية ، وبهذا كان من بين أدباء قلائل التزموا فى أدبهم على هذا النحو .

ومن ثمّ أخذ المؤلف يفصل تفصيلا فى آراء يكن وأفكاره ، وكيف كان

أديب الحرية حقاً ، لأنه حارب الاستبداد حيثما كان ، وآمن بحرية الفرد والمجتمع والفكر والعقيدة . وقد كثرت هذه المعانى ، بما لها من اتصال بالسياسة والاجتماع ، فى كل ما كتب ، من شعر ونثر ، حتى كانت الصفة الغالبة عليه .

ويتناول المؤلف آثاره الأدبية من كتب ، بعضها ضمت مقالات كان قد نشرها فى الصحف ثم جمعها بين دفتى كتاب ، وبعضها ترجمة من التركية أو الفرنسية إلى العربية ، ثم ديوانه الصغير .

وينتقل مندور إلى شعر يكن ، فيتناوله بالدرس من حيث موضوعاته ، وديباجته ، وأسلوبه . ويرى فى شعره السياسى — وهو الغالب عليه — أصالة لا يراها فى أغراض شعره الأخرى ، ولهذا يعده من الشعراء المجددين الثائرين ، وإن نشر له مؤخراً مقطعات نثرية وشعرية تحمل طابع الأدب المنمق الذى قصد منه إلى الجمال الأدبى وأناقة الأسلوب ، مجاراة منه للروح الرومانسية السائدة فى ذلك العصر عند المنفلوطى وجبران ومىّ .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
مجمع اتحاد الجامعات العربية

خليل مطران

تأليف : الدكتور محمد مندور

(١٩٥٤ م ، ٤٤ صفحة من القطع المتوسط)

يستهل المؤلف حديثه عن مطران بمفتاح شخصيته ، وهو شـــدة الحساسية ومحاسبة النفس وضبط زمامها ، مما أثر فى حياته وفنه معاً . فمطران لم ينهج فى شعره النهج التقليدى فى التحدث عن نفسه ، حتى ليكاد يختفى الضمير (أنا) من شعره ، ولعله تأثر فى ذلك بالكاتب الروحى (باسكال) (ص ٥) .

ثم يعرض المؤلف لجملة من مقومات حياة مطران وأحداثها البارزة التى كان لها أثر فى تكوين شاعريته ، من مثل أسرته الخالصة العروبة ، وأمه الفلسطينية التى كانت تتذوق الأدب ، بل وتقرض الشعر . ويتعرض المؤلف لثقافته المتنوعة ، ذاكراً انه تتلمذ فى العربية على الشيخين اليازجيين خليل وإبراهيم ، وتثقف ثقافة فرنسية واسعة ، وحذق التركية والاسبانية . وقد بدأ فى قرض الشعر وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، حين نظم قصيدة بديباجة عربية ناصعة وموضوع فرنسى (ص ٩) . وننتقل مع مطران إلى فرنسا ، ثم مصر حيث استقر فيها ، وقضى نحبه سنة ١٩٤٩ عن سبعة وسبعين عاماً تقريباً .

ويتناول المؤلف مقومات فنـه ، وكيف ينعقد الإجماع على أنه يعد رائداً لمدرسة جديدة فى الشعر العربى المعاصر ، مقابلة لمدرسة البارودى وشوقى وحافظ وغيرهم ممن ساروا على عمود الشعر العربى . كما تتميز عن مدرسة شعراء المهجر الذين خرجوا على الشعر العربى التقليدى فى موضوعاته وأفكاره وقوالبه وصيغته . وتتلخص مدرسة مطران فى أنه أخذ يصوغ أحاسيس عصره وأفكاره فى ديباجة قديمة بمتانة لغتهـــا وسلامة أسلوبها وروعة صياغتها . ثم يكشف المؤلف عما فى شعر مطران من رومانتيكية أصيلة ، برغم محاولته تغطيتها بمحاسبته لنفسه ومعاودته لها . وكذلك يكشف عن شعره الوجدانى المؤثر الذى يشتعل حرارة

وينتفض ألماً ، برغم هذه المحاسبة والمعاودة . ويضرب لشعره الوجدانى ثلاثة مواقف ، يتناولها بالتحليل وبشىء من التفصيل .

ويمضى المؤلف إلى ما يميز ديوان مطران من عدد وافر من طوال القصائد القصصية ، التى تتفاوت فى مصدرها وهدفها وصيغتها الفنية . فغالبها مستمد من أحداث التاريخ وبعضها مستمد من الحياة المعاصرة . ثم يناقش المؤلف الخلاف القائم حول وجود فن الملاحم فى الشعر العربى قبل مطران ، أم انه هو الذى شق سبيله . ويحسم الخلاف بتتبع فن الملاحم الغربى كما يجمع عليه النقاد ، وينتهى إلى أن شعر مطران القصصى الذى قصد فيه إلى التحدث عن المعارك ووصف القتال وأعمال البطولة جديد فى الشعر العربى ووثيق الصلة بفن الملاحم .

ويبرز مندور ميزة أخرى من ميزات شعر مطران ، وهى غلبة الموضوعية على الذاتية ، واتخاذه الشعر وسيلة للوصف والتصوير ، فوصف الطبيعة عنده لم يكن من قبيل الوصف الحسى" الذى عرفه العرب ، بل استند إلى فلسفة كونية أساسها الحب . كما نراه يصف الشخصيات ويصور النماذج البشرية ، بحيث تتجلى ملكة الوصف وموهبة التصوير الشعرى عنـــده ، حتى تصبح من الخصائص المميزة لشاعريته .

حفنى ناصف كاتباً وباحثاً

تأليف : محمد خلف الله أحمد

(١٩٦١ م ، ٧٤ صفحة من القطع المتوسط)

يُعنى المؤلف فى هذا الكتاب بجانبين من جوانب هذه الشخصية الخصبة ، هما كتاباته وبحوثه ، ليحدد مكانها من التراث العربى الفكرى .

ويمهد للبحث بموجز يبين فيه عصر هذا الرجل ، والأحداث التى عاش فيها ، وسيرته ، وملامح شخصيته ، وعناصر ثقافته قديمها وحديثها ، وآثاره وأعماله التى نهض بها إبان حياته التى امتدت منذ أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى أواخر العقد الثانى من القرن العشرين ، والتى تعد ثمرة من ثمرات جهود خريجى مدرسة « دار العلوم » .

وفى ميدان كتابته يتناول المؤلف بالدرس مجموعة نثره الأدبى ، من قطع أدبية ورسائل ومقالات ومقامات وخطب وتقاريظ ومناظرات ، بعضها جُمع ، وبعضها ما زال فى بطون المجلات التى كان ينشرها فيها إبان حياته . يتناول موضوعاتها ، والأسلوب الغالب عليها ، ومكانه بين أساليب معاصريه . ونرى حفنى فى رسائله الأدبية التى تدور ، على الأكثر ، حول الصلات الاجتماعية — يفصل بين مقاطعها النثرية بأبيات من نظمه ، كما يتضح منها إفادته من أسلوب القرآن . ويبين المؤلف مشاركة حفنى فى أدب المقالة الصحفية التى كان ينشرها فى مختلف الصحف فى أغراض قومية وعلمية شتى ، اصطنع فى بعضها أسلوباً مرسلاً خالياً من السجع .

وكذلك يعرض لمقاماته التى تضمنت ألواناً من النقد الاجتماعى للحياة فى عصره ، على نسق « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحى ، ملتزماً فيها السجع المقبول ، ناسجاً إياها على منوال مقامات البديع والحريرى . وتكشف لنا خطبه وتقاريظه عن دلالات اجتماعية وثقافية كانت شائعة فى أيامه . والجدير بالذكر

أن من بين الموضوعات التى عنى بها فى كتاباته وعالجها معالجة طيبة ، تعليم المرأة ، والعناية باللغة العربية الفصحى ، والاهتمام بالتمثيل باللغة القومية . ومن ثمَّ ينتهى المؤلف من هذا القسم إلى أن حفنى كان طليعة من طلائع الحركة الأدبية فى عصره ، تشيع فى أدبه عامة روح الدعابة والفكاهة ، مصطنعا فى غالب كتاباته الأسلوب المسجوع ، غير المتكلف أو المثقل بالزخرف ، حتى لا يطغى البهرج اللفظى على الفكرة والمعنى . وقد دافع عن السجع فى الكتابة بمقالة ، عدها المؤلف وثيقة أدبية هامة ، تدل على تلمّس الطريق التى أخذ يشقها النثر الحديث فى أواخر القرن الماضى . وكأن نثر حفنى المسجوع حلقة انتقال من سجع متكلف ضعيف سبقه ، إلى نثر مرسل كُتب له النصر فيما بعد .

أما فى ميدان البحث ، فإن حفنى قد خلف طائفة من البحوث فى اللغة العربية وآدابها . فيعرض المؤلف لها ، ويتناول منها نموذجين فى اللغة ، ويمهد لهما بالظروف التاريخية التى أحاطت بموضوعاتهما ، ويحللهما تحليلا مفصلا ، مبيناً قيمتهما وأثرهما ، مناقشاً حينا ، وناقداً حينا آخر . ويكشف عن مشاركة حفنى فى وضع أسس البحث العلمى المنظم فى شئون اللغة والأدب ، وكيف أصبح فارساً من فرسان هذا الميدان ، وقد كان زمام مثل تلك البحوث إلى ذلك الوقت بيد جماعة المستشرقين . كما يكشف عن منهجه فى البحث ، وعن إحاطته الواسعة باللغة وظواهرها ومباحثها وأمهات كتبها ، وصناعة نحوها وصرفها واشتقاقها ، وخواص نطقها . ويثير حفنى فى هذه المباحث وفى « نادى دار العلوم » الذى كان رئيساً له ، أخطر الموضوعات اللغوية وأكثرها دقة وحيوية ، من مثل مشكلة المصطلحات الحديثة ، ومشكلة الفصحى والعامية . وبهذا يثبت للمؤلف كيف كان لحفنى دور طليعى وتوجيهى لقضايا لغوية هامة .

ويطعّم المؤلف هذا الكتاب بمقتطفات وفيرة من كتابات حفنى وبحوثه ، ينثرها بين يدى القارىء ، لتزيد أحكامه واستقراءاته وضوحاً .

جبران خليل جبران

سيرته وتكوينه الثقافى — مؤلفاته العربية

تأليف : الدكتور أنطون غطاس كرم

(١٩٦٤ م ، ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط)

يبدأ المؤلف حديثه بتناول سيرة جبران كما رُويت فى كتب المترجمين له ، عارضاً لها ، ومناقشاً وناقداً ومقوماً . ولم يجد المؤلف مناصا من الرجوع إلى مصادر حية ممن عرفوا جبران أو من ذوى قرباه ، والتوكؤ على رسائله ، ناظراً فى حرص شديد إلى مقالة الصحف بشأنه . ثم يعرض لنسبه ، ويتعقب ما قيل فى أصله ، وينتقل إلى والده وأمه ، فولده ونشأته وصباه ، والمدارس التى اختلف إليها ، وقراءاته الخاصة . كما يفصّل فى عناصر ثقافته ، وميوله ، وصور الطبيعة فى لبنان ، وما سمعه من حكايات وهو صغير ، لما لها من صلة وثيقة بتكوين شخصيته وفنه المزدوج بين الشعر والرسم .

ويتابع المؤلف جبران فى هجرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعودته إلى لبنان ، فأمريكا ثانية ، وسفره إلى باريس — مدينة الفن آنذاك — ليقيم فيها عاما ، يتلقى الفن فى معاهدها ، ويتملى من متاحفها . ويناقش المؤلف ما قيل من أساتذته الذين تتلمذ عليهم ، ويذكر زيارته لإيطاليا وبلجيكا والنمسا وانكلترا ، وعودته إلى أمريكا .

ويتتبع أدوار حياته الفنية والأدبية . ويذكر أنه لم يكن يحقد على ناقديه ، من مثل المنفلوطى الذى طعنه حين صدور كتابه (الأرواح المتمردة) ، ويرى جبران فى هذا تباشير النزاع بين الجديد والقديم . وتعلم كذلك كيف حمل جبران مشعل التجديد فى الأدب ، حتى بلغت الشعلة أعلاها مع (الرابطة القلميـــة) ، وكيف كان نشره كتاب (النبى) بالانكليزية فاتحة عهد شهرته العريضة (ص ٧٤ — ٧٥) . وينهى المؤلف هذا الشطر من كتابه بإسلام جبران الروح ، ورحيله إلى العالم الآخر .

وفى الشطر الثانى يتعقب آثار جبران العربية ، واحداً فواحداً ، مع حرصه على تتبع زمن إنتاجها . ومن ثمّ يتناول المميزات الكبرى لأدب جبران جملة . ومن هذه الآثار التى يتعقبها بالتحليل والتعليق والنقد قطعة له فى (الموسيقى) (ص ٨٦) ؛ وكتاب (عرائس المروج) (ص ٨٨) ، الذى يسلك فيه فن الأقصوصة ؛ وكتاب (الأرواح المتمردة) (ص ٩٦) ، الذى يحوى أربع أقصوصات ؛ وكتاب (الأجنحة المتكسرة) (ص ١٠٨) ، الذى يسلك فيه فن القصة ؛ وكتاب (دمعة وابتسامة) (ص ١١٤)، الذى يضم ستاً وخمسين قصيدة نثرية ، كان قد نشرها جبران فى جريدة (المهاجر) ، ويسيطر على غالبها صوفية وإنسانية إصلاحية ؛ وقصيدة (المواكب) (ص ١٢١) ، التى تقع فى مئتين وثلاثين بيتا من الشعر ، ساقها جبران على حوار فلسفى ، يدور حول كثير من الموضوعات من مثل الخير والشر والموت والخلود . وينقدها العقاد بعنف لأخطاء جبران اللغوية وتكلفه وفساد شعره ، ويدعوه إلى التزام النثر الشعرى ، لأنه ألصق بطبيعته وألزم بطاقته اللغوية ؛ وكتاب (العواصف) (ص ١٢٨) ، الذى يشتمل على إحدى وثلاثين قطعة من حوار فكرى ، ومقالة ، ونشيد .

وهكذا ينتهى هذا الكتاب الذى يثبت المؤلف فى آخره ثبتاً مطولا للأصول والمراجع من الكتب العربية ، وآخر للمجلات والجرائد ، وثالثا للمراجع الأجنبية الوفيرة عدداً .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE RECHERCHES ET D'ETUDES ARABES
مصر - الدول العربية

خليل بيدس

رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين

تأليف : الدكتور ناصر الدين الأسد

(١٩٦٣ م ، ٩٠ صفحة من القطع المتوسط)

يمهد المؤلف لهذا البحث بحديث يبين فيه البيئة القصصية فى فلسطين ، منذ بداية الربع الأخير من القرن الماضى إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين ، وهى الفترة التى نما فيها خليل بيدس وترعرع . ويتتبع فيه تيار القصص الشعبى بالعامية ، وتيار الثقافة العربية القديمة بالفصحى . وينتهى إلى أن هذين التيارين لم يستطيعا أن يرفدا فن القصة الحديثة فى فلسطين ، ولم يظهر أثرهما المباشر فى نشأته أو تطوره .

أما التيار الثالث الذى ارتبط بنشأة هذا الفن وتطوره ، فله ثلاثة مسارب . أولها من مصر ولبنان عن طريق الصحف والمجلات ، وثانيها من الثقافة الأجنبية وقصصها عن طريق الترجمة إلى التركية ، وثالثها من الثقافات الأجنبية المتعددة وقصصها باللغة الانكليزية والفرنسية والروسية ، عن طريق المدارس الأجنبية فى فلسطين . ثم ينتهى من هذا التمهيد ببيان ريادة بيدس فى هذا الميدان آنذاك ، مترجماً للقصص والأقاصيص ، ومؤلفاً لها ، ومنشئاً مجلة ، كان هدفها الأول نشر هذه الروايات والأقاصيص . وهكذا حق له أن يكون رائداً ، لأننا لم نجد واحداً من معاصريه قد جاراه ، بل لم يتح لغيره أن يسبقه فى هذا المضمار .

ويمضى المؤلف إلى حياة هذا الرائد ، وبيان آثاره . فيحقق فى تاريخ ولادته ، ويذكر مكانها ، وأسرته ، وعناصر ثقافته ، والوظائف التى شغلها ، والأعمال المختلفة التى نهض بها ، ووفاته وكذلك يتتبع آثاره ، وينظم لها ثَبَتاً ، ويفصّل فى مجلته (النفائس) ، التى تعد أهم هذه الآثار وأشملها نفعاً .

ثم يتناول المؤلف فنّ القصة عند بيدس ، وكيف أنه بدأ حياته القصصية

بتتبع آثار كبار القصصيين الروس . ثم يتحدث عن أسلوب القصة ، ومنزلتها بين فنون الأدب ، وكيف كان بيدس يدافع عن هذا اللون دفاعاً قوياً ، حين لم تكن القصة موضع تقدير الأدباء واحترامهم . ونرى خليل بيدس يضع منهجاً قويماً للترويج لهذا الفن النافع ، ويحدد رسالته لتيسير سبيل الاطلاع عليه . ومن ثمَّ يُكشَف عن آراء بيدس فى القصة ، وفى ضرورة أن تكون هادفة ، تؤدى رسالة اجتماعية ، ذات مغزى خلقى . كما يوضح المؤلف كيف كان بيدس — فى هذا الوقت المبكر — على علم بأصول فن القصة وقواعدها وأساليبها . ويجلو طريقته فى الترجمة ، والأسلوب الذى كان ينهجه ، ويأخذ عليه مآخذ فنية ، وينقده فى أكثر من موضع ، لما كان يعتور ترجمته من نقص وقصور .

ويعالج بيدس تأليف القصة الطويلة ، فيحلل المؤلف روايته الطويلة التى وضعها ، فنرى من خلال هذا التحليل طريقة بيدس فى تأليف هذا اللون من القصص ، والنهج الذى كان ينهجه ، والمآخذ التى تؤخذ على بناء هذه الرواية وأسلوبها وطريقة تناولها للشخوص والأحداث .

وينتقل المؤلف إلى ريادة بيدس فى تأليف القصة القصيرة ، فيتحدث فى هذا المجال عن هذه القصص ، وعن فنيّتها ، وموضوعاتها .

وكان يكثر المؤلف من النصوص والأخبار التى يعرضها فى كثير من الدقة ، مستقيا إياها من مصادر حية ، أو من بطون الكتب والمجلات والصحف النادرة ، ليدعم بها ما ينتهى إليه من كشوف ونتائج .

إبراهيم المـازنى

تأليف : الدكتور محمد مندور

(١٩٥٤ م ، ٤٧ صفحة من القطع المتوسط)

يبدأ مندور الحديث عن المازنى بمحاولة الكشف عن فلسفته ، مستقيا إياها من الاسماء التى كان يطلقها على كتبه ، كحصاد الهشيم ، وقبض الريح ، وصندوق الدنيا ، التى تدل على فلسفة ساخرة متشائمة ، فيها إحساس بالمرارة وشعور بالحزن ، وهكذا كان المازنى من كبار المتشائمين الساخرين . ومن ثمّ يأخذ المؤلف فى تحليل العناصر التى كونت فلسفة المازنى ، وفى ردها إلى أصولها ، فبعضها مستمد من ظروف حياته ، أو من طبيعة الحياة المصرية ، أو من طبيعة الحياة فى ذاتها ، وبعضها يرجع إلى تأثر المازنى بما قرأ من بعض قصص روسى يخلق الاستخفاف ، وما قرأ من الكتاب المقدس ، وبخاصة العهد القديم ، الذى يشيع فى بعض أسفاره تشاؤم بالحياة وتبرم بها .

وينتقل المؤلف إلى الحديث عن حياته وأثرها فى أدبه ، فيفصّل فى سيرته ، مستعينا بما كتبه المازنى فى أدبه عن نفسه ، لأنه يُعد أصدق مرجع لتاريخ حياته ، فأدبه أدب شخصى لا موضوعى ، وان يعمر بالحقائق الإنسانية الصادقة . ثم يفصل المؤلف فى نسبه ، ونشأته ، ومسكن أسرته ، وما كان عليه من شظف العيش وهو حديث السن ، والمدارس التى تعلم فيها ، والوظائف التى شغلها ، من تدريس إلى كتابة المقالات فى الصحف ، ثم تكوينه الجسمى ، وزواجه ، وخلافه مع زوجته الأولى ، وأولاده ، وحساسيته المسرفة ، وأمراضه ، وأعصابه ، ومعاركه الأدبية مع الجيل السابق .

ويحدثنا مندور عن المازنى ، وكيف كان فى صدر حياته شاباً ثائراً متشائماً ناقماً على الحياة ، فآثر الشعر والنقد للتعبير عن هـــذه النفس ، وكون هو وعبد الرحمن شكرى وعباس العقاد مدرسة سموها (مدرسة التجديد) شعراً ونقداً . وإن لم يستطع المازنى وشريكاه أن يحولوا الشعر العربى عن مجاله الشخصى

الغنائى إلى المجال الموضوعى القائم على شعر الملاحم والقصص والدراما ، على نحو ما فعل مطران وشوقى . ويكفى مدرسة المازنى وشريكيه أن مهدت بنقدها القوى العنيف — وإن لم يخل من هوى وتحامل — السبيل إلى فهم وظيفة الشعر والأدب فهما أسمى من شعر المناسبات فى مدح وملق . ثم لم يلبث هذا الشاب الثائر أن أصبح وديعا ساخراً مستخفا بالحياة ، فكتب المقالة والقصة والاقصوصة ، لأن النثر يواتى هذه النفس الجديدة أكثر من مواتاة الشعر لها .

ومن ثمَّ أخذ المؤلف يعرض لهذه الفنون التى جال المازنى فيها. فيتناول شعره وديوانيه اللذين نشرهما سنة ١٩١٣ ، ١٩١٧ ، ويزخران بألوان الحديث عن نفسه وهمومه وآلامه وذكرياته ، بقتامة وحزن شديدين ، وتأثره وهو فى صدر حياته بالشاعر الانكليزى الرومانتيكى ، شيلى ، والشاعر العاطفى الشريف الرضى .

ويهجر المازنى الشعر إلى المقالة النثرية منذ ثورة ١٩١٩ ، ينشرها فى مختلف الصحف والمجلات . منها مقالات وطنية سياسية ، ومقالات تجمع بين الابحاث والدراسات الاجتماعية والنقدية ، ومقالات فكاهية وقصصية ووصفية وتصويرية ، ومقالات تدور حول حياته الخاصة وذكريات طفولتـــه وشبابه وحياته فى مختلف الاطوار .

وأخيراً ، نرى المازنى القصاص فى قصصه (ابراهيم الكاتب) و (ابراهيم الثانى) و (عود على بدء) و (ثلاثة رجال وامرأة) و (ميدو وشركاه) ، وكذلك فى عدد وفير من الأقاصيص أو المقالات القصصية . والجدير بالذكر أن المازنى كان لا يحفل فى قصصه بالأحداث ، وإنما كان همه الأول هو تحليل النفوس وتصوير الشخصيات ، فجاء كثير من قصصه غير مستوف لكافة الشرائط الفنية للقصة ، من مثل خلوها من الحبكة والبناء القصصى المتكامل .

الشيخ عبد القادر المغربى

تأليف : الدكتور محمد أسعد طلس

(١٩٥٨ م ، ٨٥ صفحة من القطع المتوسط)

أتم المؤلف هذه الدراسة ، ولمّا ينقضى عامان على وفاة المغربى الذى يعد أحد مَن تسلموا الراية من بعد جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ، فهو أحد قادة الإصلاح ومن زعماء الحركة الفكرية والادبية .

ويقدم المؤلف بين يدى بحثه بتمهيد يجلو فيه عصر هـــذا الرجل ، وحال ولاية دمشق وغيرها ابان الحكم العثمانى ، فى مجالات السياسة ، والتعليم والادب ، والاجتماع . كما يذكر أئمة الشاميين المصلحين فى القرن التاسع عشر ، ممن سبقوا المغربى أو عاصروه .

ثم ينتقل إلى أسرته وسيرته ، فيعرض لميلاده ، ونشأته بين أحضان أسرة عريقة فى العلم والدين ، منذ أن كانت فى تونس ، قبل هجرتها إلى بلاد الشام . كما يعرض لعناصر ثقافته . والمدارس التى تلقى علومه فيها ، وشيوخه الذين أخذ عنهم ، وكيف تعلم من بعضهم — زميلاً لمحمد رشيد رضا — حرية النقـــد وانطلاق الفكر ، ومن الافغانى ومحمد عبده عمق المناقشة والبحث وفهم النص الدينى فهماً صحيحاً ، وتأثره بأسلوب جريدة (العروة الوثقى) . وبقضايا لغوية وفكرية ، لم يكن قد عهد مثلها من قبل . ثم ينمو الرجل ويتطور ، فيعالج الشعر فى أول نشأته ، ثم يتفرغ لكتابة كثير من المقالات فى الصحف والمجلات فى الشام ومصر ، يكتبها فى الاصلاح الاجتماعى والدينى واللغة والادب . ويحدثنا المؤلف عن اتجاهاته السياسية ، وجريدته التى أصدرها فى طرابلس الشام ، ودخوله (المجمع العلمى العربى) فى دمشق ، عضواً فرئيساً ، حيث عكف على وضع المصطلحات العلمية وتصحيح الاخطاء الشائعة ، والسعى لإيجاد معجم عربى جديد ينظم المفردات الحديثة . كما يحدثنا عن دخوله عضواً عاملاً فى (مجمع اللغة العربية) فى القاهرة ، ونشره كثيراً من المقالات والبحوث اللغوية فى مجلته ، ثم

دخوله عضواً فى (المجمع العلمى العراقى) فى بغداد ، وتزويد مجلته بمختلف البحوث . وهكذا لم يترك المغربى القلم إلا بعد أن نعى نحبه تاركا وراءه عدداً وفيراً من المؤلفات والمحاضرات والبحوث ذات الجوانب العديدة .

ويفصل المؤلف فى هذه الجوانب العديدة ، بادئاً بالمغربى الصحفى المصلح . فيتناول مقالاته التى كان ينشرها تباعاً ، محللاً لنماذج منها ، مشيراً إلى معانيها وأسلوبها ، وإلى أثر الصحافة فى هذا الأسلوب ، وفى ذيوع شهرة المغربى وطيران صيته . ثم يعرض للمغربى الفقيه ، الذى أعار هذا الجانب اهتماماً كبيراً متأثراً بنشأته الدينية . وكان يريد من الفقيه أن يكون مجدداً فى الدين ، معتمداً على الكتاب والسنة والعقل الصحيح . ومن أهم القضايا التى عالجها المغربى بانياً رأيه على الشرع الاسلامى قضية سفور المرأة وحجابها ، فدعا إلى تحريرها وتعليمها وسفورها ، وتصدى فى هذا لجميع مَن ثاروا عليه ، مفنداً أقوالهم بالحجج القاطعة .

ومن بعد ذلك يأتى المؤلف إلى المغربى المؤلف ، ويرصد له ثبتاً يضم مؤلفاته المطبوعة ، وآخر للمخطوط منها . وتكفى نظرة عجلى إلى هذين الثبتين لتكشف عن الوفرة العددية التى خلفها المغربى . وعن المجالات المتنوعة التى جال فيها ، من دين ولغة وأدب واجتماع . ويعمد المؤلف إلى بعض كتبه — مطبوعة ومخطوطة فيحللها ويقتبس منها نصوصا ومقتطفات ، موضحا طريقة تأليفها ، وأسلوبها ، وأهدافها ، وما أسدته إلى العرب والعربية .

ويلفت النظر أن من بين هذه المؤلفات المطبوعة كتباً لغوية ، من مثل كتابه (الاشتقاق والتعريب) ، الذى دعا فيه بجرأة مبكرة (١٩٠٨) ، إلى قبول التعريب وتنمية اللغة به ، حتى تبقى اللغة متطورة مع الزمن تجارى ركب العلم والحضارة . وكذلك كتابه (عثرات اللسان فى اللغة)، الذى جمع فيه قدراً كبيراً من أخطاء العامية ، بهدف تطهير اللغة منها ، واستعمال الكلمات الصحيحة مكانها .

جميل الزهاوى

حياته وشعره

تأليف : ناصر الحانى

(١٩٥٤ م ، ١٤٠ صفحة من القطع المتوسط)

هذا الكتاب هو دراسة لشاعر العراق جميل الزهاوى ، الذى عمر طويلا (١٨٦٣ - ١٩٣٦) . يعرض الدارس فيه لحياة الزهاوى ، وللأحداث التى شهدها فى العراق ، والوظائف العامة التى شغلها ، منها أعمال علمية مشرفة كتدريس الفلسفة الإسلامية فى (المدرسة الملكية) باستانبول ، والتدريس فى مدرسة الحقوق ببغداد . وكان متضلعاً فى اللغتين الشرقيتين الفارسية والتركية ، واستعان بالثانية على الاطلاع على الثقافة الغربية من علم وفلسفة . وهكذا نعلم عناصر ثقافته ، وتركيب شخصيته ، ونزعاته الخلقية ، وقلقه النفسى .

لقد نظم الزهاوى كثيراً من الأشعار والقصائد المطولة والرباعيات فى موضوعات متنوعة من سياسة واجتماع وغزل وعلم وفلسفة . وحمل فى شعره لواء الاصلاح الاجتماعى ، وقضية تحرير المرأة وتعليمها والدعوة إلى سفورها . كما حمل لواء تجديد الشعر فى العراق فى معانيه وألفاظه وصوره وخياله ، من بعد شعراء مقلدين سبقوه ، غالوا فى المحسنات البديعية ، بلا جزالة فى الألفاظ ، ولا ابتكار فى المعانى .

ومن المفيد للدارس أن يقرأ للزهاوى ما كتبه عن الشعر ، فله فيه نظرات ثاقبة ،ورأى واضح ، فعرّفه،ورسم طريقه إليه ، وتحدث عن موسيقاه وقوافيه. وبهذا يتضح مقدار ماجاء به من تجديد بعد أن انهمك الشعر العراقى ، من قبله ، فى المدح والرثاء . وتحس من شعره - لشغفه بالعلم والفلسفة وتأثره بهما - أنه أديب عالم ، فيه نزوع إلى المناقشة العقلية ، وذكر التفاصيل . ولهذا يمكن أن يعد الزهاوى أديباً عالماً ، بينما يعد الرصافى معاصره أديباً فناناً (ص ٢٦) .

ثم ينتقل المؤلف إلى موضوعات شعره وأغراضه التى طرقها . وهى تتدرج -

فى الغالب ـ تحت نوعين : شعر سياسى ، وشعر اجتماعى : ويفصل المؤلف فى هذين الغرضين ، مستقصياً تطورهما عنده ، ومنهجه وطابعه ، ومشاركته الاحداث ، واتجاهاته فى السياسة والاصلاح ، مقارناً اياه ببعض معاصريه حينا ، وناقداً حينا آخر .

ويعقد المؤلف فصلا يخصصه لدراسة ملحمة الزهاوى (ثورة فى الجحيم) ، التى بلغت عدتها (٣٥) بيتا . التزم فيها قافية واحدة ، ونشرها عام ١٩٢٩ ، فأثارت ضجة فى الشرق والغرب . ويتناول المؤلف هذه الملحمة مرجعا اياها إلى أصولها التاريخية ، فثورة الزهاوى فى ملحمته صدى لثورة أبى العلاء المعرى ، متأثراً ـ فى فكرتها وفى تصوير مشاهد أهل الجنة والنار ـ برسالة الغفران تأثراً واضحا لا مجال للشك فيه . كما تأثر بالكوميديا الالهية لدانتى التى قرأها بالتركية وأعجب بها ، وكذلك تأثر بتيارات غربية أخرى (ص ٥٨ ، ٥٩) . وبرع الزهاوى فى ملحمته فى بث آرائه فى الاجتماع ، وثورته على التقاليد مصوراً ذلك بأسلوب ساخر وفنية مؤثرة . ومن ثم يأخذ المؤلف فى نقل هذه الملحمة ملخصا ومحللاً .

وهكذا ينهى المؤلف الشطر الأول من كتابه . ثم يدرج فى الشطر الثانى منه ثبتاً يرصد فيه آثار الزهاوى من دواوين ودراسات . وثبتا آخر للمصادر والمراجع التى تناولته بالدرس . ويختم الكتاب بمختار واف من شعره ، ومختار موجز من نثره توخى فيهما التنوع لتمثل شتى الموضوعات والاغراض التى جال فيها هذا الشاعر .

حافظ ابراهيم

حياته وشعره

تأليف : أحمد الطاهر

(١٩٥٣ — ١٩٥٤ م ، ٦٥ صفحة من القطع المتوسط)

المؤلف يؤلف عن حافظ ، وفاء له ، فهو من المتصلين به ، والمقدرين لمنزلته ومكانته فى ميدان الأدب .

ويستهل المؤلف دراسته بعرض لحياة حافظ ، وما وقع له فيها من أحداث ، ولبيئته الاجتماعية والسياسية التى نما فيها ، منذ بداية الثلث الأخير من القرن الماضى إلى نهاية الثلث الأول من هذا القرن . كما يعرض لتاريخ ولادته ، ومكانها ، وأسرته ، والمدارس التى التحق بها ، وقراءاته الخاصة . وعناصر ثقافته ، والوظائف التى شغلها . ثم ينتقل إلى بيان أثر حياته فى تكوين شخصيته وخلقه وطبعه وتفكيره وميوله وإحساساته وعواطفه ، وكيف كان لهذا كله أثر فى شعره .

ويفصّل المؤلف فى شعر حافظ ، متناولاً إياه موضوعاً موضوعاً ، فيجده مرآة صافية لحياته وحياة بلده . فهو بجانب أنه شاعر ذاتى يشكو ويرثى ويرثى ويمدح ويعبر عن خلجات نفسه ، فهو شاعر قومى يعبر عن تفكير الأمة فيما يهمها من أحداث حياتها . وهذه ميزته على معاصريه ، إذ لم يستطع أحد منهم أن يجمع فى شعره بين القومية والذاتية .

وأول مايبدأ من هذه الأغراض بشعر المديح ، الذى استطاع حافظ أن يخرجه من التقليد إلى إبراز ضروب من الخلال الاجتماعية أو الميزات الوطنية . ومن ثمّ ينتقل المؤلف إلى شعره فى الاجتماع ، ويسجل عليه نقدات فى هذا المجال . ثم شعره الذاتى الذى يحسن فيه حين يتحدث عن نفسه وبؤسه وشقائه . وشعره السياسى الذى كان فيه مرآة عصره إلى حدّ بعيد .

وينتهى — فى شعر حافظ الوصفى — إلى التسليم بأنه لم يكن شاعراً وصّافا ، لأنه شاعر الناس . ولكن المؤلف يخالف طه حسين فى إرجاع قلة التفات الشاعر

إلى وصف الطبيعة إلى ضيق ثقافته وضحالتها، لأن ظاهرة قلة وصف الطبيعة شائعة بين الشعراء الشرقيين ، ومنهم من تثقف بالثقافة الغربية العميقة (ص ٤٨ ، ٤٩) . والحق أن حافظاً كان يبرز فى وصف المشاهد المحزنة ، كما فى وصفه زلزال مسّينا الذى حدث سنة ١٩٠٨ ، فهو يبرع فى تصوير ما أصاب الناس من هول ، وقد دهمتهم النار ، وابتلعت الأمواج منهم جمعاً (ص ٥٠) .

أما شعره فى الرثاء والشكوى ، فيكون قوياً شديداً حين يكون صادقاً مع نفسه . وأشد ماتظهر القوة حين يرثى عزيزاً عليه رحل عنه . كما كان يحسن تصوير الحزن ، لأنه قد ألفه وعرفه منذ القديم . ولعل الحزن هو الذى أحاله إلى ساخر بالحياة مستهين بقيمها . ومن ثمّ يولى المؤلف إهتمامه شعره الفكاهى الذى كان يحرص الشاعر على ألاّ يشيع بين الناس ، لأنه كان يتبسط فى أسلوبه ، وهو يخشى نقد النقّاد . ويذكر المؤلف من هذا الشعر مداعباته لصديقه حفنى ناصف .

وكان حافظ يحرص فى أسلوبه على اختيار اللفظ الفخم ، ليحرّك المشاعر ويثير العواطف. وأشد مايكون حرصاً على ذلك فى مطالع قصائده، ليثير السامع ويسترعى انتباهه . كما كان يحرص على انتقاء اللفظ الأصيل الجزل ، مدركاً دلالته الدقيقة ، مكتسباً ذلك من طول المران وكثرة الاطلاع على المصادر العربية الأصيلة . ويحرص على اختيار القافية المناسبة للموقف ، فالموقف الحزين له هذه الألف التى يمتد بها الصوت ، على شاكلة ماجاء فى مرثية سعد ، (ص ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٢) .

ولايفوت المؤلف فى النهاية أن يشير إلى نثر حافظ ، من مثل ترجمته لكتاب (البؤساء) عن الفرنسية ، وتأليفه كتاب (ليالى سطيح) ، ورسائله المنشورة إلى الأصدقاء . وكان يحرص فيه جميعاً على اللغة والألفاظ أكثر من حرصه على المعانى والصور ، مقلداً فى ذلك القدماء ، ومتأثراً بأسلوب الصاحب بن عباد ، وابن زيدون ، والحريرى ، والهمذانى .

معهد البحوث والدراسات العربية

INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES

عضو اتحاد الجامعات العربية